قبة الصخرة (٧٢ هـ - ٦٦٩م)

تعتبر قبة الصخرة من أهم وأبدع آثار الأمويين كما أنها أقدم أثر اسلامي في تاريخ العمارة الإسلامية – وقد شيدها عبد الملك ابن مروان سنة (٧٢ هـ) – لتكون مشهدا يحج اليه المسلمون بدلا من مكة التي كان بها منافسه عبد الله بن الزبير . كما أقيمت أيضا لتنافس كنيسة المسيحيين الكبيرة .

وقبة الصخرة كان يطلق عليها في بعض الأحيان اسم جامع عمر – لأن عمر بن الخطاب كان قد أقام في موضعها مصلى من الخشب ، ثم شيد على أنقاضه عبد الملك بن مروان البناء الحالي ، وهي تقع في وسط هضبة صخرية واسعة تسمى (الحرم الشريف)، ويقع على امتداد محوره الرئيسي المسجد الأقصى .

وقد وضع تصميم هذا الأثر (كمشهد) ، ليلائم الطواف حول الصخرة المقدسة التي كان الحجاج يعتقدون أن النبي صمد عندها الى السماء وقد كانت هذه الصخرة مقدسة قبل ذلك عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء ، وتبلغ أبعادها (٥٦ قدما طولا ، ٤٢ قدما عرضا) وشكلها نصف دائري تقريبا ، ويظن أن قبة الصخرة منقولة عن القبة الموجودة في كنيسة القيامة التي تكاد تساويها في الحجم والتي تقع على مقربة منها - وقطر القبة ٢٠,٤٤ مترا وهي مقامة على قاعدة مستديرة مكونة من أربعة دعائم كبيرة ، بين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة وكلها تحمل ستة عشر عقدا مديا .

ويعلو القبة رقبة اسطوانية بها ١٦ نافذة – وهذه الرقبة تحمل القبة المستديرة العلوية وقطاعها الخارجي نصف دائري - كما يحيط بالمنطقة الوسطى الدائرية مثمن مكون من ثمانية دعائم موجودة في أركانه و بين كل دعامتين يوجد عمودان يكونان ثلاثة عقود وتكون في مجموعها أربعة وعشرين عقدا - أما المثمن الخارجي فيه أربعة مداخل محورية يتقدم كل منها سقيفة مقامة على أعمدة . وتوجد داخل هذا الأثر كتابة تاريخية بالخط الكوفي المذهب يبلغ طولها نحو ٢٤٠ مترا ، وهي موضوعة على أرضية زرقاء داكنة من الزخارف الفسيفسائية التي تحلى الجزء العلوى من التثمينة الداخلية ، وقوام هذه الكتابة آيات قرآنية كما تضم أيضا عبارة تشير الى تاريخ هذا البناء – ونصها :

(بنى هذه القبة عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين) – ولكن اسم الخليفة المأمون والقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف الخط المستعمل في سائر أجزاء الكتابة – فضلا عن أن سنة ٧٢ هـ لا تقع في حكم المأمون بل في سنى حكم

عبد الملك بن مروان وهو الذي ينسب اليه تشييد هذا الأثر ، ويتضح من ذلك أن تغييرا حدث في هذه الكتابة في عهد المأمون ولكن الصانع فاته أن يغير التاريخ بعد أن غير الاسم)

وتخطيط قبة الصخرة وتصميمها على شكل المثمن كان ملائما كل الملاءمة ليحيط بالصخرة المقدسة في الحرم الشريف . والعناصر الفنية فيها تدل على تأثر العمارة في فجر الاسلام بالأساليب الفنية التي كانت سائدة في سوريا وبيزنطة والدولة الرومانية . وقد كان سطح البناء من الخارج مغطى بزخارف الفسيفساء ولكن لم يبق منها شيء – أما داخله فلا يزال بعضه مغطى بهذه الزخارف النفيسة ولا سيما الواجهة الداخلية للبواكى الدائرية الوسطى ، وألوان هذه الفسيفساء هي الأخضر بدرجاته المختلفة ثم الأزرق والذهبي وبعض درجات الأبيض والأسود والبنفسجي والأحمر والفضي والرمادي ، كما يلاحظ أن المكعبات الصغيرة المستخدمة ليست متحدة الأحجام وهي موضوعة كلها وضعا أفقيا ومثبتة الا ما كان منها ذهبيا أو فضى اللون فانه موضوع بميل بحيث يعكس الضوء للمشاهد . وأهم الموضوعات الزخرفية التي تشاهد داخل قبة الصخرة هي الفروع النباتية وبعضها لولبي الشكل وأهمها يخرج من أواني ذات الشكل الاغريقي وأحيانا نجد بين كل فرعين خارجين بزخرفة قوامها شكل شمعداني من الزهور والنباتات تعلوها زخرفة مجنحة ، كما توجد رسوم أشجار بعضها طبيعية والأخرى محورة عن الطبيعة وأهم هذه الأشجار النخيل والزيتون واللوز ، كما تشاهد أيضا رسوم أوراق الأشجار وبعضها على شكل قلب وبعضها رسوم لبعض الفواكه ، ويلاحظ أن سطح الورقة مكون من لونين غامق وفاتح ، والفواكه تمثل العنب والرمان .

وفي بعض رسوم الفسيفساء ترى رسما للنجوم والأهلة ، والهال كان يستخدم في ايران في بعض الرسوم ثم اتخذته بيزنطة واستعملته في زخرفة بعض مبانيها وبعد ذلك اتخذه المسلمون شارة دينية كما في تركيا ومصر . وعلى أي حال فان فيفاء قبة الصخرة تحفظ لنا أبدع أنواع الزخارف التي تنسب لعصر الخلافة الأموية مما لا نجده الا في الزخارف الحجرية بقصر المشتى وفى الفسيفساء الموجودة بالجامع الأموي بدمشق .

والقبة الأصلية كانت مصنوعة من الخشب وتعطيها صفائح من الرصاص وفوقها ألواح من النحاس البراق ، ولهذه القبة وصف رائع للمقدسي وقد سقطت في سنة ٤٠٧ هـ ، أما القبة قبل الاصلاح الأخير الذي قام به بعثة من المهندسين العرب – فتاريخها يرجع الى سنة ٤١٣ هـ . والقبة كانت مكونة من طبقتين ، وهي كذلك قبل الاصلاح الأخير ، ومهندس هذا الأثر غير معروف الاسم ويوجد تحت الصخرة محراب أملس

غير مجوف ينسب للخليفة عبد الملك بن مروان كما يوجد محراب آخر يعرف باسم قبلة الأنبياء ، والعقود الداخلية تربطها روابط خشبية ، وحوائط المثمن الخارجي مقسمة الى تجويفات رأسية معقودة ، بكل ضلع سبع منها والخمس الوسطى بها نوافذ في أعلاها .

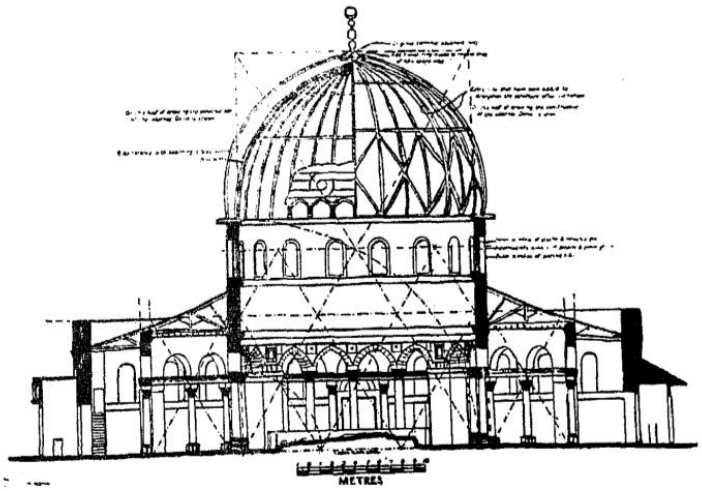

(شـــكل ١٢)
قطاع رأسى فى قبة الصخرة
(عن كريزول)

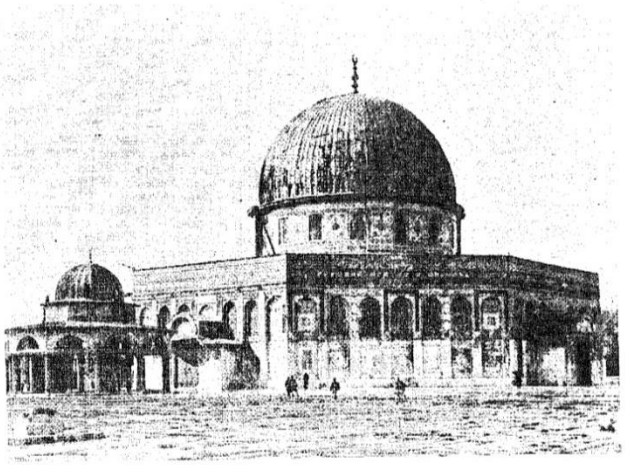

(شـــكل ١٠)
منظور لقبة الصخرة ببيت المقدس ٧٢هـ (٦٩١/٢م)
(عن كريزول)

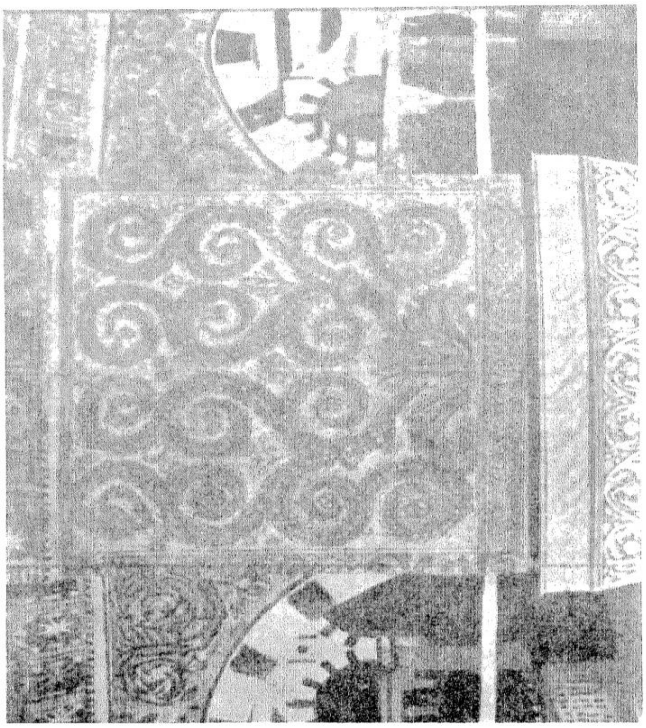

(شـــكل ١٥)
قبة الصخرة ــ الفسيفساء على احدى الدعامات الرئيسية للقبة ــ الدعامة الشمالية الغربية ــ (عن كريزول)